

الإثنـيـن 07-02-2011

## 1256- يومـةـاتـ الغـصـبـ والـباطـحـةـ

ولادة شعب جديد قديم (8 من 999)

### الفرق بين "الفتوة" و"البلطجي" و"الرئيس" (2 من 2)

من قرأ نشرة أمس، والأهم من تفضل بأن دفعته هذه النشرة إلى العودة إلى ملحمة الغرافيش وقرأ الحكاية السادسة "شهد الملكة" لا بد وأنه انتبه إلى وجه الشبه بين الفتوة "نوح الغراب" والأمامور "فؤاد عبد التواب"، ثم لعله انتبه إلى طريقة التعاون والتفاهم بينهما لإدارة أحوال الناس أو إرهابهم، أو إذلالهم أو كل ذلك، ولعله لاحظ كيف أن الأمور فاق الفتوة "نوح الغراب" في القسوة والإجرام، حين دبر أن يقتلها شخصياً أثناء افتعال معركة بين فتوة العطوف وبين عصبة نوح في ليلة عرسه، والأمامور انقلب إلى فتوة وهو الذي دبر مقتل نوح الغراب في زفته يوم عرسه تحت ستار فض الاشتباك مع فتوة العطوف، ليفوز بالعروس "زهرة" لنفسه، لكنه في النهاية انسحب جباناً متقدلاً إلى الصعيد بسلطة أعلى!

عدت أقرأ هذه المقتطفات، المنشورة أمس برغم أنها ظلمت المتن متكاماً، فإذا في أكتشاف مدى التداخل بين الأدوار، فالامامور -رسينا- يمثل ما قصدت به هنا معنى "الرئيس" لكنه فتوة حتى القتل، ونوح الغراب يمثل الفتوة لكنه رئيس يستعين به الأمور في تأمين بعض المستغاثين به سراً وعلانية، وفتوة العطوف "بلطجي" يتفق مع "نوح الغراب" مثل سائر فتوات الأحياء المجاورة أن عمر الزفة بسلام، لكنه ينقلب بلطجياً حين يبيع نفسه للأمامور ويكون الاتفاق ليفسد الفرج ويتيح الفرصة للأمامور أن يتصنع فض الاشتباك ويقتل غريمه علانية، هكذا تدخلت الأدوار فيما بين السلطة الرسمية (التي تسميها هنا "الرئيس") وبين القيادة الغرفية المختلطة بالقسوة والحماية معاً، وهي التي يتولاها "الفتوة"، ثم بينهما وبين قوة ثلاثة عشوائية خائنة غاشمة بداعية تستعمل بعض الوقت لتدعم هذا أو ذاك، وهي التي تسمى من يمارسها "البلطجي"، وهو من يمثلها هنا فتوة العطوف.

كل من الفتـوةـ ، والـبـلـطـجـىـ والـرـئـيـسـ يـتـمـنـعـ بـ ، أوـ يـتـلـكـ تحتـ يـدـهـ قـوـةـ قـادـرـةـ ، باـطـشـةـ أوـ عـادـلـةـ أوـ فـاجـرـةـ . القـاسـمـ المـشـرـكـ بـيـنـ الـثـلـاثـةـ هوـ اـمـتـلاـكـ أـدـوـاتـ وـمـقـالـيدـ الـقـوـةـ ، (بـأـشـكـالـهـ الـمـتـعـدـدـةـ) أـمـاـ الـاـخـلـافـ فـهـوـ فـيـ هـدـفـ اـسـتـعـمـالـهـ ، وـطـرـيـقـةـ اـسـتـعـمـالـهـ ، وـمـآلـهـ اـسـتـعـمـالـهـ .

قد تـسـتـعـمـلـ أـدـوـاتـ وـمـقـالـيدـ الـقـوـةـ فـيـ إـدـارـةـ شـؤـونـ النـاسـ وـتـنظـيمـ حـيـاتـهـمـ بـعـدـ أـنـ يـولـوـاـ صـاحـبـهـ مـركـزـهـ بـدـرـجـةـ ماـ منـ الـاـخـتـيـارـ الـمـنـظـمـ حـسـبـ اـخـلـافـ الـثـقـافـةـ وـالتـارـيـخـ ، وـهـنـاـ يـصـبـحـ صـاحـبـ الـقـوـةـ "رـئـيـسـ" ، بـمـاـ يـتـبـعـ ذـلـكـ مـنـ مـسـؤـلـيـةـ ، وـحـاسـبـةـ ، وـنـقـدـ ، وـتـطـوـرـ ، وـكـلـامـ مـنـ هـذـاـ .

وـقـدـ تـسـتـعـمـلـ أـدـوـاتـ وـمـقـالـيدـ الـقـوـةـ فـيـ قـهـرـ النـاسـ وـتـسـخـيرـهـمـ وـاـسـتـعـمـالـهـمـ لـصـالـحـ صـاحـبـ الـقـوـةـ ، هوـ وـمـنـ إـلـيـهـ مـنـ أـسـرـةـ أوـ جـمـاعـةـ أوـ مـسـاعـدـيـنـ ، يـجـدـ ذـلـكـ سـوـاءـ كـانـواـ قدـ اـخـتـارـوـاـ هـذـاـ الـقـائـدـ أوـ الزـعـيمـ أوـ فـرـضـ عـلـيـهـمـ ، لـكـنـهـمـ ، وـهـنـيـ يـظـهـرـ مـنـ يـهـزـمـهـ وـجـلـ عـلـهـ فـيـ ظـرـوفـ مـخـلـفـةـ ، يـجـتـمـونـ بـقـوـتـهـ فـدـ مـنـ يـهـدـهـمـ ، وـأـحـيـانـاـ ضـدـ مـسـؤـلـيـةـ حـرـيـتـهـمـ ، وـهـنـاـ يـصـبـحـ صـاحـبـ الـقـوـةـ "فـتـوةـ" حـتـىـ لوـ سـيـ رـئـيـسـ .

وـحـينـ لـاـ تـسـتـعـمـلـ أـدـوـاتـ الـقـوـةـ وـبـطـشـهاـ لـاـ فـيـ إـدـارـةـ شـؤـونـ النـاسـ (رـئـيـسـ) ، وـلـاـ فـيـ قـهـرـهـمـ وـحـمـاـيـتـهـمـ فـيـ آـنـ (الفـتـوةـ) وـإـنـماـ - حـصـرـياـ - فـيـ الإـغـارـةـ وـالـسـرـقةـ وـالـإـذـالـةـ بـالـانـضـافـ فـيـ طـلـامـيـةـ قـاسـيـةـ قـاهـرـةـ مـهـيـنـةـ يـنـقـلـبـ الدـورـ إـلـىـ مـاـ يـسـمـىـ "بـلـطـجـىـ" وـتـسـمـيـ أـعـمـالـهـ بـلـطـجـةـ" ، حـيـثـ تـقـتـصـرـ عـلـىـ الـقـهـرـ وـالـإـذـاءـ لـلـضـحـيـةـ لـخـسـابـ مـنـ يـنـجـعـ فـيـ اـسـتـجـارـهـمـ ، لـأـغـرـاضـ مـحـدـدـةـ مـؤـقـتـةـ .

بـصـراـحةـ أـنـاـ تـبـعـتـ فـيـ تـشـكـيلـ هـذـهـ التـعـرـيفـاتـ ،

قـلـ لـيـ لـمـاـذـاـ وـأشـكـ فـيـ دـقـتـهـ؟

لـأـنـيـ بـدـأـتـ أـنـظـرـ حـولـ لـأـخـتـارـ عـيـنـةـ حـيـةـ أـوـ تـارـيـخـيـةـ أـوـ روـائـيـةـ لـكـلـ مـنـ هـذـهـ التـشـكـيلـاتـ الـثـلـاثـةـ ، فـارـتـبـكـ ، فـمـاـ بـالـ القـارـئـ الـذـىـ تـصـورـ أـنـيـ أـعـرـفـ كـيـفـ أـمـيـزـ؟!! بـدـأـتـ بـالـبـحـثـ عـنـ مـنـ يـمـثـلـ "رـئـيـسـ" لـأـشـرـحـ دـورـهـ وـحدـودـهـ وـمـسـؤـلـيـتـهـ أـفـضلـ ، وـرـعـاـيـةـ لـأـفـهمـ اـحـتـمـالـ تـدـاخـلـ الـأـدـوـارـ بـشـكـلـ أـدـقـ ، وـقـلـتـ أـبـدـآـ مـنـ بـعـيـدـ حـتـىـ لـأـخـتـلـطـ عـلـىـ الـأـمـورـ ، وـعـبـرـتـ الـأـطـلـنـطـيـ وـوـصـلـتـ إـلـىـ بـوـشـ الـأـبـ ، ثـمـ الـأـبـنـ ، ثـمـ أـوـبـاماـ ، مـرـوـرـاـ بـعـيرـكـلـ ، مـتـذـكـرـاـ تـاتـشـرـ ، كـمـ طـرـقـ بـابـ وـعـيـ بـيـلـسـكـوـنـ وـسـارـكـوـزـيـ ، دـعـ جـانـبـاـ الـآنـ سـتـالـيـنـ وـهـتـلـرـ وـأـمـثـلـهـمـ ، حـاـوـلـتـ أـنـ اـمـيـزـ فـيـ أـىـ مـنـ هـؤـلـاءـ مـقـدـارـ مـاـ بـهـ "رـئـيـسـ" ، وـمـاـ بـهـ مـنـ "فـتـوةـ" وـمـاـ بـهـ مـنـ "بـلـطـجـىـ" فـوـجـدـتـ أـنـ الـمـسـائـلـ اـخـتـلـطـتـ بـدـرـجـةـ خـبـيـثـةـ وـمـزـعـجـةـ وـمـقـصـودـةـ غـالـبـاـ !!

بـلـ إـنـيـ وـجـدـتـ أـنـهـ لـيـسـ مـسـائـلـ تـصـنـيـفـاتـ عـرـضـيـةـ ، بـعـنـيـ : هـذـاـ رـئـيـسـ وـذـاكـ فـتـوةـ ثـمـ هـذـاـ بـلـطـجـىـ ، أـوـ كـمـ فـيـ الـمـائـةـ مـنـ هـذـاـ الشـخـصـ الـوـالـىـ يـمـثـلـ الرـئـيـسـ وـكـمـ %ـ فـيـهـ يـمـثـلـ الـبـلـطـجـىـ ، وـكـمـ %ـ فـيـ تـرـكـيـبـهـ يـمـثـلـ الرـئـيـسـ ، وـإـنـماـ هـىـ أـيـضاـ قـدـ تـكـوـنـ طـولـيـةـ ، فـقـدـ يـبـدـأـ الـوـالـىـ "رـئـيـسـ" عـادـيـاـ مـسـنـوـلـاـ مـثـلـمـاـ بـدـأـ حـسـنـيـ مـبـارـكـ ، بـعـدـ اـغـتـيـالـ رـئـيـسـ السـادـاتـ فـورـاـ ، كـانـتـ مـفـاجـأـةـ لـهـ بـعـدـ

الرعب اللازم، وحين تولى الأمر، مازلت أذكر منظره وهو يمثل المصرى الطيب، ويقول ما عنده من قلبه بتواضع صادق، وقد كرر الاستشهاد بهذا المشهد عدة مرات (كما فعل آخرون) حين أعلن آنذاك ما يفيد أن المنصب أكبر من توقعاته، وأنه لم يكن في حسابه أن يليه أبداً، فوصلني من ذلك أنه "أعيينون عليه لو محظى"، لكن ربما لم تستمر هذه الحالة بضعة أيام، فقد أخافوه أخافوه، وليس معنى أنه طيار وحارب لا يخاف، فهذا موقف وذاك آخر، وأعلنت حالة الطوارئ بغيرات موضوعية فعلاً، فماذا بعد اغتيال رئيس دولة هكذا!! خاصة لو ثبتت الشبهة اللاحقة التي ظهرت بعد سنوات، بأن التدبير كان بيد أجنبية، أمريكا بالذات، هل يا ترى تفسر هذه المسألة رغبة أمريكا في التخلص من مبارك الآن، المهم نرجع مرجوعنا لخوف مبارك، وقد ظهر لمؤخراً أنه تعامل مع الأحداث الأخيرة بنفس نوع الخوف، وقد استنتجت ذلك بالذات حين قدم وقت بدء حظر التجول من الساعة الرابعة إلى الساعة الثالثة، سواء هو الذى أمر مباشرة بذلك، أو أخافوه فوافقاً، هذا عمل لا يقدم عليه إلا خائف، وخائف جداً، فقد شعوره بالوقت، كما فقد منطق الأمان، وقد رجح أن صدور مثل هذا الأمر بهذه "الساعة" هكذا هو أسلوب الخائف البعيد عن الواقع تماماً، إذ ماذا تفعل ساعة حظر زيادة؟ يا ترى هل هذا النوع من الخوف الأعمى هو هو السبب في مذقانون الطوارئ هكذا المرة بعد المرة؟ كان كل مذءيل عندي كيف عاد منظر المنصة بشكل أو بأخر إلى منطقة غائرة من وعيه، وكان قانون الطوارئ هو الذى سيمعن تكرار مثل هذا الحادث بالنسبة له

الأرجح أن كل هذا حدث دون أن يدرى الرئيس، أو على الأقل بعيداً عن بؤرة وعيه.

على نفس القياس رأيت هذه الساعة الزيادة في منع التجول كأنها الرمز المصغر لقانون الطوارئ، كأنها هي التي ستمنع اقتحام القصر الجمهوري لترحيله، مرة أخرى هو إنسان ومن حقه أن يخاف، لكن إذا استمر هذا الخوف الشخصي طول هذه المدة، من فلاح مصرى طيب مثله (في أصل اصله على الأقل) فكان عليه لو أدركه أن يتزك منصبه لمن لا يخاف، وهذا لا يعييه، الأرجح عندي أنه أضيف إلى صفة الرئيس الفلاح المصرى الطيب هذا منذ ذلك الحين سمات جديدة هي في ظاهرها عكس الخوف لكن وظيفتها هي أن تخفيه، فبدت كأنها القوة، لكنها ظلت قوة مدعاومة من خارجه أساساً، مدعاومة بأصحاب المصلحة والوصاية من المقربين الذين نعرفهم، مدعاومة ليس بآن ينفعوا فيه مزيداً من مظاهر القوة، ولكن بآن يزرعوا داخله أكثر فأكثر رعباً أثث، رعباً، من خاطر الموت والاغتيال، وكلما زاد الخوف، تثبت قانون الطوارئ، وزاد تخويفه فزادت مظاهر قوة، وليس بالضرورة قوته، وكذلك زادت تصرفات سطوة من حوله، وكانت كل تلك المظاهر تتفاقم ويكشف عنها علانية في مواسم الانتخابات بوجه خاص، مما نعرف كلنا تفصيله.

لست متأكداً ما فعلته فيه أحداث الأمن المركزي (فـ 1986/2/28) ولم تمضى على ولاليته سوى خمس سنوات لكنني أعرف ما فعلته، في أنا شخصياً، حتى كتبت نقداً طويلاً جداً في كل أحوال البلد، ولم أجد من يقبل نشره، ولم يكن عندي موقع ولا مجزنون، فنشرته في مجلتي "الخصوصية"، "الإنسان والتطور" (المجلة الأم لهذه النشرة، عدد بوليو 1986 حوار استحابة محدودة حول حكـابة انفجـار جـهاز الأمـن)، ثم قمت بإيجازه وتحديثه مؤخراً في الوفد حين وجدت أن شيئاً لم يتغير بعد أكثر من ربع قرن، ويبدو أن هذا المقال لم يكت ليختوى خوفاً وغضباً، فخرج مني شعراً لم أنشره، خرج في قصيدة بعنوان "تراكم المخاتلة"، ليعلن العنوان أن هذا الانفجار هو النتيجة الطبيعية لتراكم الخداع، وانتهت تلك القصيدة بأنه "حلم ضاع بفضل التأثير" بدلاً من "حلم لاخ لعين الشاهـر" (وهو ما ورد في نفس القصيدة).

نقرأ معاً:

.....

-4-

أمـرـنا بـلـيلـ  
يـمـوـثـ الـأـمـلـ

.....

حـطـرـ التـجـوـلـ مـنـ قـبـيلـ الغـسـقـ.  
حـتـىـ جـنـازـ الرـؤـيـةـ المـنـبـثـقـةـ.

-5-

قـفـ.ـ:ـ مـنـ هـنـاكـ؟  
ماـ كـلـمـةـ اللـلـيـلـ؟  
"انـقـضـيـ"ـ ؟؟؟ـ  
الـلـفـرـ تـحـثـ المـنـضـدـةـ!  
أـذـنـ لـهـ بـالـضـيـطـ،ـ إـلـاـ أـرـبـعـةـ

-6-

.....

.....

"حـلـمـ لـاخـ لـعـينـ الشـاهـرـ"  
وـهـمـسـةـ شـارـدـةـ تـقـنـفـدـ.

تها وث.

تما وث، فما تث.

أجنة الرياح،  
حضره السلطان،  
ناب القهر،  
لوئن البقره  
"حلم ضاع بفضل التاجر"

\*\*\*\*

ظل الرئيس يترجح بين دور "الرئيس"، الذي كان أوضح ما يكون في زياراته الخارجية، وربما في سياسته الخارجية، وبين دور "الفتوة" (الخائف دون أن يعرف) (من فضلك هذا ليس قليلاً نفسيًا فأنا ضد ذلك تماماً تماماً، هذه مجرد فروض مواطن مشارك جتهد)، وكلما خاف مذْقانون الطوارئ، أو قام بزياراته للخارج، أو زاره أحد من الخارج، كان يمارس دور الرئيس دون تلؤث بدور الفتوة أو البطلجة في كل ذلك، ثم جاءت الجراحة الأخيرة في ألمانيا، فاقترب القدر أكثر، وإذا هنا نفاجأ به شاباً يتحدى، ويؤكد كفاءته الصحبية بجهد لا يتوقف، وكأنه ينفي الزمن، ويتنكر للجراحة ومغزاها، ورفقت أن أذكر "جلال صاحب الجلالة" (ملحمة الخرافيش أيضاً).

وبعد

هكذا ظهرت ملامح الفتونة أكثر فأكثر ثم:

هذا ما وضعته من فروض لفض التلوك Decontamination بين دور الرئيس، ودور الفتوة الخائف من الداخل، لكنني أبداً لملاحظ عليه دور البطلجة، بالرغم من استخفاقه بتحده "الملى" أحياناً، وفضحاته التي لم تضحكني غالباً، مع كل احترامي.

ليس عيباً أن يقوم رئيس دولة بدور البطلجة فكاهة أو فجأة رغم عنه، لكنه لا يجوز له أن يمارس البطلجة وهو يقوم بدوره كرئيس، لكن فلتة حدثت مؤخراً جعلتني أراجع فروضي، فهل كان يخفيها طول الوقت، أم كانت تنمو بداخله من ورائه؟

حين وصف جمال عبد الناصر المرحوم الملك حسين قائلًا "حسين ابن زين" (وليس ابن طلال) لم يكن ذلك دليلاً على أن عبد الناصر كان بطلجيًا مع أنه ما قاله كان كلام بطلجيّة، لكن عبد الناصر مارس دور الفتوة بجوار دور الرئيس بشكل مزمن، وحين قال السادات أن للديمقراطية حمال وأنبياء، كان فتوة أكثر منه رئيساً، ثم إن فلتات البطلجة لا تقتصر على رؤسائنا المصريين أو العرب، فأنا لا أعرف من من قراء هذه النشرة كان في سن تسمح له أن يذكر خروشوف وهو رئيس الاتحاد

السوفيت بكل جلاله، حين احتد ووضع حذاءه أمامه وهو  
جالس في مقعده الرئيسي في الأمم المتحدة،  
لكن حين قال الرئيس مؤخراً "خلية يتسلوا" وصلتني ليس  
على أنها فلتة لسان بل شعرت شخصياً، برغم غلبة مشاعري  
الطيبة عموماً تجاهه، أنه صفعني شخصياً، وحين رحت أحسس آثار  
الصفعة، شعرت بما بليل يدي فعلمت، أنها لم تكن صفعة  
فحسب...، مع أنني لست من أعضاء البرلمان الموازي، ولا أفهم  
معناه، ولا من وزارة الظل، صحيح أنني معارض حتى النخاع،  
لكن لا أنا ولا هم نتسلى بما نحاول، المهم: هل وصلت هذه  
الصفعة فالبصمة إلى هؤلاء الشباب فكان الشارة التي  
جعلتهم يكشفون له عن طبيعة تسلیتهم ومداها بكل هذا  
العنف والاصدار؟

للاسف، فإنه منذ هذه اللحظة التي سمعت فيها هذه الكلمة، ووصلتني هذه السخرية، تغيرت علاقتي برئيسى، وتراجعت عن تفويت لاختيائه وأخطاء من حوله،

وأخيراً :

شعرت وأنا أكتب هذه النشرة الآن أن الانتقال من دور الرئيس إلى دور الفتواة إلى دور البلطجة قد حدث تدريجياً جداً، دون أن ينتبه الرئيس إلى ما يدبرونه له للتمادي في هذا التحول، (أو ربما كان يدرى)، لكنه ظهر منه فجأة ، وبشكل لا حداً في أنه ليس عشوائياً،

إذن فقد نمى الفتوة بداخله حتى ضغط على الرئيس ظهر ما يجف فيه، وهو أنه أصبح الفتوة الذي أمسك كل خيوط اللعبة في يده خيطاً خيطاً، هو ورجاله، والباقون يذهبون يلعبون بعيداً، أو لا مانع أن يتسلوا في المواري المعاورة للقصر.

وبعد

ياه !! فاتنى نقلة مهمة تكمل فروض خوف المنصة ، وربع  
الأمن المركزى ، وهى تتعلق باحتمال تفاصيم خوف الرئيس  
الداخلى ، ومن ثمْ نمو فتونته الظاهرة لتخفي خوفه ، بعد  
حاولة اغتياله فى أديس أبابا ، وما تبعها من فرحة حقيقية  
من كل الشعب الأصيل بنجاته ، ربما لا تقل عن فرحة الشارع  
يوم مخا عبد الناصر من حادث المنشية .

هذا وقد تناولت خوف عليه من آثار ذلك حق نبهت علانية إلى احتمال تسحب غزور محتمل إذا لم يحسن فهم الفرحة الطيبة بإنجاته من شعب صبور طيب، وكتبت في ذلك -تصميلاً- في خطاب مفتوح تم نشره في الوفد أيضاً في 17-11-1995، بعنوان: "سيدة الرئيس كيف محمد الله على سلامتك".

وإلى الغد نكمل الحديث بعد ساعات حظر التجول.

- لقد فهمت لماذا اغتالت أمريكا السيدات - إن ثبت ذلك وقد ثبت عندي تقريراً - لكنني لم أفهم أبداً وهي الآن لماذا ت يريد أن تتخلص من مبارك، يا ترى هل حصلت على حلليف أفضل ، لا أدرى)